

## محاضرة 03:

### حضارة بلاد الرافدين

#### 01- الموقع الجغرافي:

بلاد الرافدين منطقة جغرافية تقع في الجزء الجنوبي الغربي من قارة آسيا، تربط بين القارات الثلاث آسيا، وإفريقيا، وأوروبا. ولهذا الموقع أهمية استراتيجية و تجارية، حيث كان ملتقى طرق القوافل التجارية. وتنقسم بلاد الرافدين إلى قسم شمالي عبارة عن وديان ومرتفعات جبلية استوطنه الآشوريون قديما. وقسم جنوبي كان عبارة عن مستنقعات غير صالحة للعيش ومع ترسبات النهرين صلحت الأرض. وكان أهم سكانها السومريون، والبابليون، والعرب. وتأسست على هذه الأرض حضارات عريقة لدول أبرزها:

**1- الدولة السومرية:** وقد سكن السومريون جنوب الرافدين في حدود 4000 ق.م في فترة مايعرف بعصر فجر السلالات، ومن المتفق عليه أن السومريين هم سكان العراق الأصليين وأنشأت هذه المملكة حضارة كبيرة عُرفت بحضارة العبيد وقُسمت فترة حكم السومريين إلى ثلاث عصور:

أ - عصر فجر السلالات الأول (2800 ق.م - 2700 ق.م)

ب - عصر فجر السلالات الثاني (2700 ق.م - 2600 ق.م)

ج - عصر فجر السلالات الثالث (2600 ق.م - 2400 ق.م)

وعُرفت في هذه العصور مدن تطورت فيما بعد إلى دول أهمها "أور" و"لاغاش" ومن أشهر ملوكها الملك "غوديا" الذي أعاد بناء معبد نينوى وأعاد لسومر قوتها. والملك "أور- نامو".

**2- الدولة الأكادية:** وظهرت بين سنة 2360 ق.م و 2180 ق.م، والأكاديون قوم نزحوا من شبه الجزيرة العربية إلى بلاد الرافدين، ويُعتقد أنّ الأكاديين قد عاشوا في شمال الرافدين في نفس الوقت مع السومريين، وقد قامت الدولة الأكادية على يد سرجون الأكادي (2371 ق.م - 2316 ق.م) الذي وُحّد العراق في مملكة واحدة. واستمر حكمه لمدة خمس وخمسين سنة قام خلالها بالكثير من الإصلاحات في الجيش، وفي نظام الحكم وتطورت في عهده الفنون.

**3- الدولة البابلية:** والبابليون قوم هاجروا من سوريا إلى سهل سومر، وتقسّم المملكة البابلية إلى عصور ثلاثة:

أ - العصر البابلي القديم: ويُعدّ حمورابي من أشهر ملوك هذا العصر (1728 ق.م - 1686 ق.م) وبفضله تم توحيد البلاد. ومن أهم أعماله سنّة قوانين موحّدة تسري على جميع بلاد الرافدين (قانون حمورابي). وهي أولى القوانين المتكاملة في العالم التي ضمت قانون العقوبات، والقانون المدني، إضافة إلى الأحوال الشخصية. وقد تميز العصر البابلي القديم بتطور العلوم، والمعارف وازدياد عدد المدن.

ب - العصر البابلي الوسيط: يعتبر العصر الوسيط عصر تراجع للحضارة البابلية. وعلى الرغم من وجود حكم سياسي في بابل إلا أنها بقيت تحت حكم وسيطرة قوى أقوى منها.

ج - العصر البابلي الحديث: تُعدّ فترة حكم الملك البابلي "نبوخذ نصر الثاني" من الفترات المزدهرة في تاريخ الحضارة الإنسانية والبابلية. وقد تميز عهده بازدهار العمران. ومن أهم المعالم في عهده بوابة عشتار، والحدائق المعلقة التي تعتبر من عجائب الدنيا السبعة.

**4- الدولة الآشورية:** ظهرت المملكة الآشورية في الجزء الشمالي من العراق. والآشوريون قبائل هاجرت من شبه الجزيرة العربية إلى شمال وادي الرافدين، ونزلت بمكان مرتفع (آشور) هذه البيئة الجبلية ميّزتهم بالقوة، والصلابة، والشّدة وهو ما ساعدهم في تكوين امبراطوريتهم. ومن أشهر ملوكها " شلمنصر الأول " وفي عهده عُرف التّوسع الخارجي للدولة. والملك

"سرجون الثاني" الذي قضى على المملكة اليهودية في السامرة. و"آشور بانيبال" الذي عُرف بحبه للأدب، والعلوم، والمعرفة. وبعد وفاة بانيبال ضعفت الامبراطورية وقامت فيها عدة ثورات. إلى أن سقطت دولة الآشوريين.

## معالم حضارة بلاد ما بين النهرين:

### 01- نظام الحكم والإدارة:

لقد كانت المدن في مختلف عصور الدول التي مرت ببلاد ما بين النهرين شديدة الحرص على استقلالها. وتخضع لملك يسمى "الملك - الكاهن" وهو مايشير إلى أن نظام الحكم كان وثيق الاتصال بالدين. ونمت التجارة نموًا جعل الانفصال بين المدن أمرًا مستحيلًا، فنشأت منها جميعا امبراطوريات استطاعت أن تخضع المدن والملوك - الكهنة لسلطانها وأن تؤلف من هذه المدن وحدة سياسية واقتصادية. وكان الملك الأعظم صاحب السلطان المطلق يسيطر على الجيش. وإلى جانب النظام الملكي توجد القوانين التي تنظم الحياة في مختلف جوانبها، وهي المعين الذي استمدّ منه حمُورابي قانونه الشهير. وتأسس نظام الحكم في المملكة الآشورية على الملك الذي يساعده ولي العهد، وقائد الجيش وكبير موظفي الامبراطورية، والولاة الذين كانت لهم بعض الصلاحيات.

### 02- الحياة الاقتصادية (الزراعة والصناعة والتجارة):

اهتم السومريون والبابليون بالزراعة، وقد كان أساسها تربة الأرض التي أخصبها فيضان النهرين السنوي. فأقاموا قنوات للري تخترق البلاد طولًا وعرضًا. فكان نظام الري من أعظم الأعمال في الحضارة السومرية، فأخرجت الحقول محاصيل وفيرة من الذرة والقمح، والشعير، والخضر. وظهر عندهم المحراث من أقدم العصور. وشملت الصناعة النسيج والصبغة إلى جانب صناعة المعادن، والفخار. بينما ازدهرت صناعة الأسلحة في عهد الآشوريين إلى جانب صناعة الزجاج، والأثاث المنزلي.

أما بخصوص التجارة فقد كانت بابل المركز التجاري الذي يربط المغرب بالشرق. وكانت التجارة تتم بالمقايضة قبل أن تُعرف النقود.

### 03- الحياة الدينية:

تعددت الآلهة في بلاد ما بين النهرين فقد كان للسومريين عدة آلهة، ولكل مدينة إله، وسيطر الكهنة على عقول الناس بواسطة الأساطير التي نشروها، وكذلك في عهد البابليين. وأصبح الدين في خدمة نظام الحكم والدولة في عهد الآشوريين.

### 04- الحياة الاجتماعية:

بُنيت مجتمعات بلاد ما بين النهرين على أساس الحقوق والواجبات بين الرجل والمرأة. فكان رب البيت له الكلمة الفصل في حياة السومريين والبابليين، ولكن للمرأة أيضا حقوقها في الميراث، والملكية، والعمل خارج البيت. وإن اختلف حجم هذه الحقوق عما هو للرجل، فقد كان الحكم الأخلاقي على الرجل يختلف عن الحكم الأخلاقي على المرأة.

### 05- الآداب والفنون:

تُعدّ الكتابة أروع ما خلفه السومريون، ويبدو هذا الفن عندهم فنًا عظيم الرقي. والنقوش الحجرية أقدم ما عُثر عليه من النقوش ويرجع عهدها إلى عام 3600 ق.م. وتبدأ الألواح الطينية في الظهور حوالي 3200 ق.م. ولقد كان من حسن الحظ أنهم لم يكتبوا بالمداد السريع الزوال على الورق السريع العطب. بل كتبوا على الطين الطري بسن آلة حادة. ويغلب على الظن أن الانتقال من الكتابة إلى الأدب تطلّب عدة مئات من السنين. فقد ظلت الكتابة قرونا عدة أداة تُستخدم في الأعمال التجارية لكتابة العقود والصكوك. إلى جانب استخدامها لتسجيل الشؤون الدينية في الإحتفالات والمراسم. ومع هذا فلم يحل عام 2700 ق.م حتى كان عدد كبير من دور الكتب قد أنشئ في المدن السومرية. وبدأ المؤرخون من عام 2000 ق.م يكتبون ماضيهم. وتحتوي بعض الألواح التي وصلت إلينا مرثي ذات قوة.

وأبدع السومريون، والبابليون في مجال العمارة فابتدعوا أشكالاً راقية للمنازل، والهيكل، والأعمدة. وانتشرت الثقافة والعلوم خاصة في عهد السومريين، والبابليين. وقد حُفِظت علومهم في ألواح مرتبة، ومنظمة في مكاتب ضمت علومًا مختلفة من تاريخ، ودين، وطب، وأدب... إلخ.